Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وَسَرى فى فؤاده زُخْرُفُ القو لِ يراه مستعذَبًا وهْوَ دَاءُ

ويقول إنه داء لم يمسّ رمسيس لأنه كان أعظم من أن يمسّه وأعلى من أن يغرّه السفهاء. ويذكر هزيمة بسامتيك أمام قمبيز وأنه ظل له إباؤه وكبرياؤه مما أوغر صدر قمبيز عليه، فأمر أن تمر به ابنته وهى فى زىّ الإماء، تحمل جَرّةً لجلب الماء، ورأت أباها، فلم تبك ولم تسقط لها دمعة، شعورًا بإباء ما بعده إباء وعزّة لا تشبهها عزة، وبالمثل بسامتيك حين رأى ابنته لم يتحرك له جفن ولم تدمع له عين، وكأنه صخرة صماء، حتى إذا رأى صديقا له أذلّه الفرس بكى له رحمة وشفقة.

وكأنما اتخذ شوقى من بسامتيك مثلا حيًّا لكل مصرى، مثلاً للوفاء أمام الأصدقاء ومثلاً للشعور الطاغى بالكرامة أمام المحتلين للديار. وينوّه شوقى بالإسكندر وبنائه الإسكندرية، ويلمّ بتاريخ البطالمة. ثم يذكر كيف تجلّت رحمة الله بعباده، فأنقذهم من ظلمات الوثنية بما نشر فيهم من أضواء الرسالات السماوية، ويهلل لموسى ومنشئه بمصر ورسالته إلى فرعون، وعيسى ومولد الرفق معه ورسالته، وينشد:

إنما ينكرُ الديانـاتِ قومٌ هُمْ بما ينكرونه أشْقياءُ

ويقول: إن النور أشرق فى العوالم بالرسالة المحمدية وبمعجزتها الباهرة: القرآن الكريم، وعمّت مشاعل هذا النور مصر على يد فاتحها عمرو بن العاص النيّر الوضّاء، ويمر سريعًا بتاريخها بعده، ويشيد بصلاح الدين قاهر الصليبيين وبمعاملته ومعاملة المسلمين والعرب السمحة لأعدائهم من حملة الصليب ويهتف:

هكذا المسلمون والعربُ الخا لون لا ما يقولُه الأعداءُ

ويذكر نابليون ويلمّ بالأسرة العلوية. وإنما أطلنا الوقوف عند هذه القصيدة لأنها تعدّ أم شعر شوقى، ولأنها تصوّره وقد شَدّ إلى قيثارته مبكرًا وتر الوطنية وبثّ الحمية فى نفوس الشباب للدفاع عن مصر أمام الغرب، فإذا زها بمدنيته الحاضرة فإن لها مدنية قديمة مجيدة. وشدَّ إلى قيثارته فى القصيدة وتَرَى الإسلام